دور القرآن الكريم في جعل اللغة العربية إحدى أعظم اللغات المستقبلية في العالم

The Role of the Holy Quran in Making the Arabic Language One of the Greatest Future Languages in the World

د. شريف مراد
جامعة وان– يوزنجوبيل–تركيا– كلية الإلهيات – في قسم القرآن الكريم وعلم القراءات
charifmurad@hotmail.com

Dr. Öğr. Üyesi Cemil KÜÇÜK
Kur'ân Okuma ve Kıraat İlmi ABD. Başkanı ،Van YYÜ. İlahiyat Fakültesi
cemilkucuk2@gmail.com

ملخص

القرآن الكريم كتاب منزَّل من عند الله تعالى، وقد وعد الله –عز وجل– وتكفل بحفظه بقوله: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))، ونزل باللغة العربية فلا بدَّ من حفظ اللغة العربية أيضاً حتى يتحقق وعد الله تعالى، والتاريخ يثبت أن القرآن الكريم حفِظَها من التقلبات، وصانها من الاندثار، وطوَّرها في الاستعمال، فاجتازَتِ المِحَن، وتجاوزت الأزمات. والدَّارس لتاريخ اللغات يجد أن العديد مِن اللغات التي كانت يومًا ما سيدةَ الكونِ، زالَتْ وانقرضت، وحلَّت محلَّها لغاتٌ أخرى، بل وحلت بدلاً عنها بعض لهجاتها، وقد أثبتت الكثير من الدراسات التي قامت بها الجامعات الكبرى والمؤسسات العلمية في العالم أن مصير الكثير من اللغات الحية اليوم إلى الزوال والضياع، وأن اللغة الحية التي تحافظ على نفسها من بين اللغات العالمية هي اللغة العربية، وستسود على تلك اللغات؛ والسبب الأول في الاستمرار هو بقاء القرآن حياً كما نزل يوم نزل، وقد تكون هناك أسباب أخرى كثيرة سواء اقتصادية أو نابعة من تنازع وتصارع على السلطة العالمية، بالإضافة إلى الثورة المعلومية والتطور التكنولوجي السريع إلى بقية تلك الأسباب.

وفي هذه الورقة البحثية سوف يتم البحث عن ذلك كله بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

الكلمات الافتتاحية: القرآن الكريم، اللغة العربية، الصراع اللغوي، الانقراض اللغوي، التطور اللغوي.

تاريخ الاستلام: 2022/7/1

تاريخ القبول: 2022/11/9

Abstract

The Noble Qur'an is a book revealed by Allah Almighty, and Allah has promised and ensured its preservation by saying: "It is We who have sent down the Remembrance, and we will memorize it." And it was revealed in the Arabic language, so it is necessary to memorize the Arabic language as well and history until the promise of the Noble Qur'an is proven. He preserved it from fluctuations, preserved it from extinction, and developed it in use, so it overcame adversity, and overcame crises. The study of the history of languages will find that many of the languages that were once the master of the universe have disappeared and become extinct, and have been replaced by other languages, and even replaced by some of their dialects. Many studies conducted by major universities and scientific institutions in the world have proven that the fate of many living languages today is to disappear and be lost, and that the living language that preserves itself among the global languages is the Arabic language, and those languages will prevail; The first reason for continuity is that the Qur'an remains alive as it was revealed on the day it was revealed, and there may be many other reasons, whether economic or stemming from conflict and struggle over global power, in addition to the information revolution and rapid technological development to the rest of those reasons. In this research deleet, all of this will be discussed in detail, God willing.

***Keys words**: The Noble Qur'an, the Arabic language, linguistic conflict, linguistic extinction, linguistic development.*

مقدمة

الحمدُ لله الذي جعل اللغة العربيَّةَ للمسلمين لسانًا، وأنزلَ بحروفِها قُرآنه العظيم ذكراً وبياناً، وفيه كَرَّمَ الإنسَانَ أحسن التكريم، وهَداهُ إلى صراطه المستقيم، وعن طريقه علَّمهَ البيان، وبعث رسوله مُحمَّداً صلى الله عليه وسلم بأَفصَحُ اللسان، صاحب جَوامِعِ الكَلِمِ بأدق المعان، فاللَّهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آلهِ وأصحَابِهِ فرسان البلاغة وأرباب الأفهام، أما بعد:

مشكلة البحث: فمشكلة البحث تكمن في إشكالية دور القرآن الكريم في الحفاظ على اللغة العربية من الضياع، وبقائها حية بعد نزول القرآن الكريم بأربعة عشر قرناً، بل والأمل في أن تكون هي إحدى أعظم اللغات المستقبلية في العالم أجمع.

أهمية البحث: أما أهمية البحث فتظهر من خلاله ما قام به القرآن الكريم من دور فعال وكبير في الحفاظ على اللغة العربية حية بين أهلها، وأنها لم تتغير ولم تتبدل منذ أن نزلت بها أول سورة وحتى الآن.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى كثير من الأهداف العامة؛ ولكنها كلها تكمن في أن يعلم أهل اللغة العربية مكانة لغتهم المرموقة بين لغات العالم أجمع، ولا سيما أنها اللغة التي نزلت بها الوحي السماوي، وكتبت بها أحاديث خير البشر صلوات الله وسلامه عليه، كما يهدف إلى لفت أنظار العالمين عامة والمسلمين خاصة إلى الاهتمام بمصدر هذه اللغة ألا وهو القرآن الكريم.

كما لا يفوتني أن أذكر أنني اعتمدت في بحثي هذا على الكثير من المصادر والمراجع الأصلية، وبعض المصادر المعاصرة؛ من كتب ومقالات وأبحاث تتعلق بهذا الشأن: ككتاب الخصائص لابن الجني، وكتابه المحتسب، ومن المصادر والمراجع المعاصر: مقالة للشيخ محمد يوسف الشربجي بعنوان (أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة).

منهج البحث: أما منهج البحث فقد تم الاعتماد على المنهج التحليل الوصفي والاستقرائي، وذلك عن طريق قراءة الكثير من الدراسات السابقة ثم اتباع منهج الاستقراء وفق السياق وأهداف مرسومة. وقد تم التوصل إلى العديد من النتائج والتوصيات وهي مذكورة في نهاية البحث.

تمهيد

عندما يتكلم الناس عن اللغة العربية لا بدّ لهم أن يتكلموا عن الإسلام أولاً؛ لأن اللغة العربية مصدرها الأساسي هو الإسلام بقرآنه العظيم، وسنة نبيه الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، وهذا الكلام فخر لكل عربي ينطق بالضاد، ويريد أن يعتز بدينه وبلغته، وعلى العرب جميعاً أن يدركوا حقيقة يتنكر لها بعض الأعداء للدين من الملاحدة والعلمانيين ومن أذيال المستشرقين وهي فضل الإسلام على العرب وعلى لغتهم، فلولا القرآن الكريم لذابت اللغة العربية كما تذوب الثلوج بمجرد أن تتعرض للاشعة الشمس، وفضل الإسلام والقرآن على اللغة العربية وأربابها ظاهر للعيان ولا ينكره إلا جاحد، لقد أثر القرآن الكريم في البشرية قاطبة والأمة العربية خاصة فأثر في أخلاقها وعقيدتها ومبادئها وقوانينها وسائر نواحي حياتها كما أثَّر في لغتها ولهجات أهلها وقبائلها، والتاريخ –وهو أصدق الأدلة الناطقة قبل كل شيء– يشهد بأن اللغات واللهجات تضَعفَ وتضعفْ وتَمرَضُ بمرور الزمن ثم تموت كما يمرض الإنسان ويضعف ثم يموت، وأبسط مثال على هذا الكلام هو اندثار اللغة اللاتينية التي كانت في يوم من الأيام لغة الحضارة والثقافة والصناعة والفلسفة، ولكنها غابت عن الوجود بكاملها، وأصبحت أثراً بعد عين.

أولاً– تعريف القرآن لغةً: بالعودة إلى المعاجم يقول ابن منظور في معجمه –لسان العرب–: " قرأ: القُرآن: التَّنْزِيلُ الْعَزِيزُ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ عَلَى مَا هُوَ أَبْسَطُ مِنْهُ لشَرفه. قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، الأَخيرة عَنِ الزَّجَّاجِ، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرْآناً، الأُولى عَنِ اللِّحْيَانِيِّ، فَهُوَ مَقْرُوءٌ. أَبو إِسحاق النَّحْوِيُّ: يُسمى كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنزله عَلَى نَبِيِّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابًا

وقُرْآناً وفُرْقاناً، وَمَعْنَى القُرآن مَعْنَى الْجَمْعِ، وَسُمِّيَ قُرْآناً لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، .... والأَصل فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْجَمْعُ، وكلُّ شيءٍ جَمَعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه. وَسُمِّيَ القرآنَ لأَنه جَمَعَ القِصَصَ والأَمرَ والنهيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إِلَى بعضٍ".(ابن منظور،1414، 128).

واصطلاحاً: عرفه الشريف الجرجاني بقوله: "القرآن: هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة، والقرآن، عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها. (الجرجاني، 1983، 147).

وعند علماء علوم القرآن نجد الزرقاني يقول: " أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[سورة القيامة:17] – ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللحياني".(الزرقاني، بد،ت، 14).

إذاً يمكن أن نقول: أن معنى القرآن هو الجمع؛ لأنه يجمع بين دفتيه القصص والأوامر والنواهي والعبر والأخلاق ..إلخ، وهو اسم لكتاب الله السماوي الذي نزل على رسول الله محمد بن عبد الله– صلى الله عليه وسلم– مثل التوراة والإنجيل.

تعريف اللغة العربية لغةً: قال ابن منظور:" واللُّغَة: اللِّسْنُ،.. وَهِيَ فُعْلةٌ مِنْ لَغَوْت أَي تكلَّمت، أَصلها لُغْوة ككُرَةٍ وقُلةٍ وثُبةٍ، كُلُّهَا لَامَاتُهَا وَاوَاتٌ، وَقِيلَ: أَصلها لُغَيٌ أَو لُغَوٌ، وَالْهَاءُ عِوَضٌ، وَجَمْعُهَا لُغًى مِثْلَ بُرة وبُرًى، وَفِي الْمُحْكَمِ: الْجَمْعُ لُغات ولُغونَ". (ابن منظور،1414، 252).

اصطلاحاً: جاء معناها في كتاب الخصائص "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". (ابن جني، بد،ت، 34).

إذا يمكنني أن أقول: اللغة هي مجموعة من الأحرف والكلمات عندما تجتمع مع بعضها تصدر عنها أصوات؛ وهذه الأصوات يفهم منها كل قوم حسب ما تعلموه وورثوه عن أبائهم وأجدادهم من المفاهيم والمصطلحات التي تساعدهم على التواصل والتفاعل مع بعضهم، وهي وسيلة للتفاهم بين أبناء الجنس البشري.

ثانياً– نزول القرآن الكريم باللغة العربية

أو بمعنى آخر ما الحكمة من نزول القرآن الكريم باللغة العربية؟ أو بشكل آخر لماذا لم ينزل آخر كتاب من بين الكتب السماوية بلغة غير لغة العرب؟ ويمكن أن يأتي هذا السؤال من مسلم أو من غير مسلم، و قد صرح القرآن الكريم في أكثر من موضع بأن القرآن أنزل باللغة العربية منها قوله تعالى: [إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]، {سورة يوسف:

2/12}، و[قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ]، {سورة الزمر28/39}، و[بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ]، {سورة الشعراء:195/26}، وعند التأمل في مثل هذه الآيات التي أشارت إلى أن القرآن نزل باللغة العربية نفهم أنه قصد إبراز هذا المعنى إلى الوجود. وقد أكثر العلماء من الإجابة عن هذا السؤال ومنهم ابن جني الموصلي إذا يقول: " وشرحت صدورنا لمعرفته من لطائف مودعات لغة نبيك، التي فضلتها على سائر اللغات، وفرّعت بها فيه سامي الدرجات، وخصصت بأشرفها طريقاً وألصقها مسرى وعروقاً، كتابك المنزل على لسان أمينك...".(ابن جني، بد،ت، 34- الجرجاني،192)، وقال أجاد ابن فارس أيضاً عندما خصص باباً من كتابه فسماه باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها فقال: " فوصَفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصّف به الكلام، وهو البيان، قال جلّ ثناؤه ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[سورة الرحمن:55/ 2-3] فقدم جلَّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المُتْقَنة. فلمّا خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربي بالبيان عُلمَ أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه".(ابن فارس،31،1997).

فإذاً يفهم من هذا الكلام أن الله عز وجل أنزل القرآن باللغة العربية؛ لأن اللسان العربي لسان البيان، في حين سائر اللغات الأخرى قاصرة عن البيان الذي هو في أصله في لسان العرب، ومنهم الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي – رحمه الله تعالى- أيضاً حيث قال: " اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الإسلامية، وأن تكون هي الأداة المباشرة الأولى لترجمة كلام الله عزّ وجلّ وإبلاغه إيانا. ولعلنا لو أمعنا في خصائص اللغات وقارّنا بينها، لوجدنا أن اللغة العربية تمتاز بكثير من الخصائص التي يعزّ وجودها في اللغات الأخرى. فأجدر بها أن تكون لغة المسلمين الأولى في مختلف ربوعهم وبلادهم".(البوطي، 2025، 48). إذا فالشيخ البوطي يوضح أن سبب نزول القرآن باللغة العربية عائد إلى خصائصها التي تنفرد بها عن بقية اللغات الأخرى.

وقد أجاب عن هذا السؤال الباحث أحمد طه فرج أيضاً فقال: " أنزل الله القرآن باللغة العربية؛ لأنها وسيلة التفاهم مع من أرسل إليه الرسول أولا، وبدأت الدعوة في محيطهم قبل أن تبلغ لغيرهم".(فرج،2020).

وقال الباحث علي الكرمي: "ومثلما أرسل الله عز وجل موسى عليه السلام إلى قومه بمعجزة السحر لأنهم كانوا متقدمين في ذلك، فإن العرب كانوا يتقنون اللغة أشد الاتقان، ومن ثم أرسل الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن وهو باللغة العربية، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [سورة إبراهيم: 4]، فكان من الطبيعي أن يتم نزول القرآن باللغة العربية التي هي لغة النبي محمد (صلى الله عليه و آله)، لغة قومه الذين يعيش معهم، .. هذا مضافاً إلى أننا لا نشك في أن نزول القرآن باللغة العربية دون غيرها من اللغات لم يكن عفوياً ، بل كان لأسباب دقيقة، و

هو بكل تأكيد اختيار حكيم لأنه من قِبَلِ رب العالمين، ونحن نؤمن بوجود الحكمة في هذا الاختيار سواءً تبيَّنت لنا أسبابه أم لم تتبين." (الكومي،2018).

أضف إلى ذلك أن اللغة العربية تتميز بمميزات تجعلها مرشحة لتبوء بهذا الشرف من حيث الإيجاز، والجرس الموسيقي، والاشتقاق الصرفي، وتناغم عباراتها، وتناسق جملها، وإمكانية تعريب الألفاظ الواردة، وخصائصها الصوتية.

ولعل السبب الأهم والأكثر قبولاً إلى العقل هو قول الباحث علي الكومي: " لغة العرب أوسع اللغات السامية، فهي الوحيدةُ التي تتَّسع لكثير من المعاني القرآنيَّة، وغيرُها لا يتَّسع لبعضها، فناسَب أن ينزلَ بها القرآن الذي نزل يتَّسع لكلِّ متطلبات الناس جميعًا على اختلاف مشاربهم، ولغةُ العرب هي التي بقِيتْ لا يشوبُها خللٌ؛ لأن العرب كانوا يُقدِّسونَها، ويحافظون عليها، وكانوا في حِرزٍ حَريزٍ من أن يتطرَّق إلى صفائها ما يُكدِّرها، ولعل الله تعالى قد عزَلَهم في ناحية من الأرض في الصحراء بعيدًا عن الحضارة والمدنية؛ حتى لا يطمَع في البقاء معهم مَن ليس منهم مِن العجَم وغيرهم، فتَفسُدَ لغتُهم بسبب المخالطة، ثم شاء أن ينفتحوا على العالم بعد ما نزَل صِمامُ الأمان للغتهم، وهو القرآن الكريم، فوُلِدت اللغةُ ونشأتْ، وتطوَّرتْ خالصةً لأبنائها، نقيَّةً سليمةً مما يَشينُها من أدران اللغات الأخرى." (الكومي،2018).

وجاء الجواب عن هذا التساؤل من الباحث والمفكر –إسلام بن نصر الأزهري– فقال: " الجواب: لأن النبي صلى الله عليه وسلم – وهو الذي نزَل عليه القرآن – عربيٌّ، والله تعالى يقول :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [سورة إبراهيم: 4]، أما لماذا خصَّ الله العربَ بأن نزَّل القرآنُ بلسانهم مع أنه للناس كافَّةً؟! فذلك تشريفًا لهم (وخصائصُهم كثيرةٌ معروفة)، وتكريمًا للسانهم، (وخصائصُه لا تنحصر)، ثم إن اللغة العربية فيها مِن مُقوِّمات البقاء، ما يجعلها أبقى اللغات السامية، فناسَبَ أن ينزلَ بها الكتابُ الباقي الخاتم، ولغة العرب أوسع اللغات السامية، فهي الوحيدةُ التي تتَّسع لكثير من المعاني القرآنيَّة، وغيرُها لا يتَّسع لبعضها، فناسَب أن ينزلَ بها القرآن الذي نزل يتَّسع لكلِّ متطلبات الناس جميعًا على اختلاف مشاربهم..فلغتُهم – من حيث خصائصُها – أخصبُ اللغات، وأوسعُها تعبيرًا، وأبقاها زمانًا، وأشرفُها مكانةً، لهذه الأسباب وغيرِها – وهي كثيرة – نزل القرآنُ بلغتهم؛ ولكي يتحدَّى بلاغتَهم، ويكونَ فارس حَلْبةِ مَيدانهم المقدَّس؛ ليتحقق الإعجاز الذي ليس كائنًا على حقيقته، إلا في القرآن بكلماته التي أعجَزت العرب عن معارضتها وهم فُرسانُ الكلمة، وبنَظْمه الذي بَهَرَهم وهم عمالقةُ النَّظْم، وبجُمَلِه التي أعْيَتهم عن الكلام، وهم أساتذتُه؛ ليُسرِعوا إلى الإيمان به؛ حيثُ عجَزوا عن معارضته".(الأزهري،2018).

ولقد أجاد في هذا المجال الشيخ صالح الكرباسي عندما قال:" مما يثار حول القرآن الكريم من الشبهات هو: إذا كان القرآن كتاباً لكل البشرية، فلماذا أنزله الله باللغة العربية، ولم ينزله بلغة أخرى غيرها ؟، وللإجابة عن هذا السؤال نقول:

من الواضح أن نزول القرآن كغيره من الكتب السماوية . كان لا بُدَّ أن يكون بلغة من اللغات الحية التي يتكلم بها الناس عصر نزول القرآن، واللغة العربية كانت إحدى أهم تلك اللغات. ومن الواضح أيضاً أنه على أي لغة أخرى . غير العربية . كان يقع الاختيار فإن هذه الشبهة كان يمكن طرحها، وحينها كان يقال: لماذا نزل القرآن بهذه اللغة، قال الله عَزَّ و جَلَّ :﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾[سورة فصلت:41]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن أي كتاب سماوي ينبغي أن ينزل بلغة الرسول الذي ينزل عليه ذلك الكتاب، ليتمكن من التعامل معه بصورة طبيعية، ومن هذا المنطلق كان من الطبيعي اختيار اللغة العربية دون غيرها من اللغات، حيث أنها اللغة التي كان يتحدث بها النبي محمد (صلى الله عليه و آله وصحبه)، كما وأن أي رسول لا بُدَّ وأن يتحدث بلسان القوم المرسَل إليهم، أو المبعوث فيهم، و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر حيث قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة إبراهيم: 4/14]. (الكرباسي، 2006م/ 5).

أظن فيما سبق ذكره من الأسباب يكفي أن يعلم الجميع وخاصة المشككين وأتباعهم من الملاحدة والعلمانيين وأذيال المستشرقين لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية!.

ثالثاً- اللغة العربية –لغة القرآن- مهددة من الأعداء

لا شك أن الأعداء لا يوفرون سبيلاً ولا وسيلة للقضاء على الأمة الإسلامية، وقد أدركوا أن السلاح والنار لم يعد يفيأن بغرضهم هذا؛ لذا توجه إلى طريقة المكر والخديعة، واستعمال الفكر والأدب في تمزيق أوصال هذه الأمة إلى أشلاء مبعثرة، أي تمزيقها بعد التمزيق، فاستخدموا لإنجاح خطتهم هذه نفراً من أبناء جلدتنا ينادون بمحاربة اللغة العربية، وإزالتها عن الوجود وإحلال العاميّة، أو الإقليمية أو الشعوبية محلها.

وقد قام بهذه الوظيفة الخسيسة مجموعة تبرؤوا من دينهم أولاً ومن لغتهم ثانيةً مقابل بعض الدولارات وقد ذكرهم الأديب الإسلامي الغيور على العربية والإسلام عبد الرحمن رأفت باشا في كتابه(العدوان على العربية عدوان على القرآن) ومن الذين دعو إلى ترك الفصحى وذكر منهم سلامة موسى، الذي سار على خطى المبشر الإنكليزي ويلمور الذي بدأ دعوته في مصر ، ونشرت له جريدة المقتطف، وعملت على التشجيع لدعوته تلك بين الشباب المثقف، ثم تلاه وليم ولكوكس، ثم عبد العزيز فهمي، وكان أخرهم سعيد عقل صاحب كتاب(يارا) الذي كتبه بالعامية تشجيعاً لغيره على الكتابة بالعامية وتنفيذا لأمر أسياده، وعند التأمل نجد أنها حقيقةً دعوةٌ إلى القضاء على لغة القرآن، ثم بعد ذلك يأتي دور القضاء على القرآن نفسه، ثم ظهرت فئة أخرى تدعو إلى دراسة الأدب العربي على أساس إقليمي، ثم ظهر من يدع إلى الاعتناء بالأدب

الشعبي ودعا ثالث إلى النحو المبتدع تحت ذريعة تيسير النحو العربي، ودعوة رابعة وخامسة وأخيراً دعوة إلى الإبقاء على الفصحى مع إلغاء الإعراب في أخر الكلم. وفي هذا الشأن يقول باشا: " ثم تلت الدعوة إلى اصطناع العامية دعوة أخرى لا تقل عنها خطراً ألا وهي الدعوة إلى نبذ الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية محلها..".(الباشا،28،1996).

واليوم تعالت صيحات أخرى وتحت مسميات أخرى تدعو إلى تعليم لغة الأعداء بحجة أنهم أصحاب حضارة وتفوق مادي وتكنولوجي وهذا تحدي كبير يواجه اللغة العربية، " ومن هنا فإن أي تحدٍ لثقافة ما، ينطوي على تحد للغتها، واللغة العربية إحدى اللغات التي تواجه تحديات كبيرة من قبل قوى العولمة المختلفة، المتمثلة في المصالح المادية، الناجمة عن الاتصال الأجنبي، والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنكليزية على أنها العالمية التي هي لغة البشرية.

وهذه دعوى باطلة لا تصمد أمام المحك العلمي الصحيح، حتى الناطقون باللغة الإنكليزية أنفسهم يثبتون ذلك، فهذا صمويل هنتغتون يثبت في كتابه "صدام الحضارات" أن القول بعالمية اللغة الإنكليزية ما هو إلا وهم كبير، وخلص إلى القول "إن لغة تعد أجنبية لدى 92% من سكان الأرض لا يمكن أن تكون عالمية".(الشربجي، 2008).

ويحتجُّ أولئك النفر بحجج واهية لا تصمد أمام الحق والحقيقة والواقع، فمنهم من يدعي أن اللغة العربية قاصرة عن التعبير عن المحتوى العلمي لبعض مواد التدريس، ومنهم من يدعي أنها لغة قاصرة عن أداء دور التواصل الاجتماعي والتجاري بين الأمم، وأخرون يدعون أن اللغة العربية لغة بداوة تفتقر إلى التجريد ولا تستطيع حمل المصطلحات الحضارية؛ لأنها لغة لا عهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة المعاصرة، ولا يخفى على أحدٍ أنها دعوات تحمل في طياتها الكثير من السموم والكذب والافتراءات التي لا أساس لها؛ لأن التاريخ يشهد عكس ما يروّجون له، والحضارة الإسلامية تشهد على بطلان تلك الدعوات؛ ففي العصر العباسي –عصر الازدهار والتقدم– كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية التي قام العلماء بواسطتها بترجمة أغلب الكتب من اليونانية والفارسية ، وكما قاموا بتأليف بها في العلوم كافة من طب وهندسة ورياضيات ..إلخ ذلك. بل التاريخ يشهد والغرب يشهدون أن اللغة العربية هي التي حملت النور إلى أوروبا، فكانت أساس الحضارة الغربية الحديثة التي يتباهون بها اليوم.

رابعاً– علاقة القرآن باللغة العربية

هناك علاقة تلازم بين القرآن واللغة العربية، فلولا القرآن لضاعت اللغة العربية وانصهرت وذابت كما ذابت العديد من لغات العالم، ولا يصح كلام عن اللغة العربية بدون ذكر القرآن الكريم معه، فلقد ترك القرآن الكريم في اللغة العربية بصمة أبدية، وأثر فيها الكثير من الآثار التي استنبطها العلماء والباحثون ومنها مثلاً ما جمعه الباحث النشيط الدكتور محمد

يوسف الشربجي –رحمه الله تعالى– وأنا أذكر هنا فقط التعداد دون الشرح لضيق المقام عند ذكر ذلك فقال : **ومن أهم آثار القرآن الكريم في اللغة العربية**

1– المحافظة على اللغة العربية من الضياع.

2– تقوية اللغة والرقي بها نحو الكمال.

3– توحيد لهجات اللغة العربية وتخليصها من اللهجات القبلية الكثيرة.

4– تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية:

5– تحويل اللغة العربية إلى لغة تعليمية ذات قواعد منضبطة.

6– تهذيب ألفاظ اللغة العربية، ونشوء علم البلاغة.

7– وهناك آثار غير ذلك للقرآن الكريم أحدثها في اللغة العربية والأدب العربي، كتنمية ملكة النقد الأدبي، وذلك أن العرب كانت لهم أسواقهم المشهورة، ومعلقاتهم المنظومة، ومبارياتهم المعروفة، فلما نزل القرآن الكريم، ولامس شغاف قلوبهم، ورقت له أحاسيسهم ومشاعرهم، فتغيرت أحكامهم وقوانينهم، فنقلهم من الفصيح إلى الأفصح، ومن الجيد إلى الأجود، ذلك هو القرآن بإعجازه".(الشربجي، 2008).

ثم جاء من بعده من أضاف على الأثار السابقة أثاراً أخرى مثل: " 8– إثراء وتنمية اللغة العربية.9 – القرآن مفجر علوم العربية."(أوريل، 11،2014–20).

ويكفي أن أذكر هنا أثراً واحداً بالشرح؛ فقد أكثر الباحثون والمفكرون الكلام عن تلك الأثار الكثيرة، وسأتحدث عن الأثر الأول على سبيل المثال:

1– المحافظة على اللغة العربية من الضياع: لقد حافظ القرآن الكريم على بقاء اللغة العربية حية، ولعل السر الكامن وراء بقاء اللغة العربية حية وخالدة حتى الآن، وبقاءها محافظة على نفسها من الاندثار هو القرآن الكريم؛ لأثره البالغ على حياة أهلها، فبعد نزوله عليهم حولهم من أمة تائهة إلى أمة في مصاف الأمم المتقدمة والمتحضرة، ونقلهم من أمة متشرذمة إلى أمة قوية عزيزة لها شأنها السياسي، ولها وزنها بين أصحاب الحضارات القديمة، بل أزالت بعضاً منها في غضون بضع سنوات، فكما قال أوريل بحر الدين: "صقّل نفوسهم، وهذب طباعهم، وطهر عقولهم من رجس الوثنية وعطن الجاهلية، وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة توحدت فيها غاياتهم، وبذلوا من أجلها مهجهم وأرواحهم، ورفع من بينهم الظلم والاستعباد، فقد كان القرآن الكريم ولا يزال كالطود الشامخ يتحدى كل المؤثرات والمؤامرات التي حيكت وتحاك ضد اللغة العربية، يدافع عنها. فلما كان القرآن الكريم بهذه المنزلة لا جرم أن المسلمين أقبلوا عليه ودافعوا عنه، واعتبروا

كل عدوان على القرآن هو عدوان على اللغة العربية، وأن النيل من القرآن هو نيل من اللغة العربية؛ ولذلك فإن بقاء اللغة العربية إلى اليوم وإلى ما شاء الله راجع إلى الدفاع عن القرآن الكريم؛ لأن الدفاع عنه يستتبع الدفاع عنها، بل لأنها السبيل إلى فهمه، ولأنها السبيل إلى الإيمان بأن الإسلام هو دين الله، وأن القرآن من عند الله لا من وضع النبي وأصحابه، والقرآن الكريم بحكم أنه لسان الإسلام الناطق ومعجزاته الباقية، هو الذي حفظها من الضياع". (أوريل، 13،2014).

بالإضافة إلى أمر آخر قد يكون في غاية الأمة فلولا القرآن لضاعت اللغة العربية بعد أن ضعف أصحابها، فقد مرت على العرب –وهم أصحاب اللغة العربية– عصور وصلوا إلى الحضيض، وصاروا أضعف خلق الله على الأرض ولكن بقيت اللغة العربية هي هي، وإن تراجعت قليلاً بسبب محاربة الاستعمار لها وتشجيعهم للعامية ، ثم فيما بعد أصبحت إحدى اللغات الرسمية في هيئة الأمم المتحدة، بل تعَدُ اللغة العربية أطول اللغات الحية عمراً بفضل القرآن الكريم، وهي تأتي في المرتبة الرابعة بين مئات اللغات في العالم، وتشير الدراسات إلى أن عدد الناطقين باللغة العربية سيزداد لتصبح اللغة الرابعة بعد الصينية والهندية بحلول سنة 2050م. (نتوف وأخرون، بد، ت، 60)

خامساً– البقاء للغة العربية حسب قاعدة البقاء للأصلح

إذا جاز لنا استخدام هذا المصطلح، ووفقاً لهذه القاعدة التي أوجدها سبنسر بناء على نظرية تشارلز داروين الذى سمها في الحقيقة "بالانتقاء الطبيعي"، وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء، وأعطى له أبعاداً اجتماعية، فيما عرف لاحقا بالدارونية الاجتماعية، وبناء على هذه القاعدة يمكن التساؤل ما هي اللغة التي ستكون الأصلح للبقاء ولماذا؟

وعندما جاء عام 1851روج سبنسر لفكرة التطور والارتقاء وخلال بحثه في نظرية توماس مالتوس، رأى سبنسر في نظرية مالتوس قانوناً عاماً يصلح للبشر كما للحيوانات، حيث تعمل الحروب والكوارث والأوبئة على تصحيح الزيادة السكانية، ومنذ تلك اللحظة فصاعداً اعتبر سبنسر كاتبا مهما، ووجد تعبير" البقاء للأصلح" رواجاً كبيراً، و اهتم بالتطور في العلوم الإنسانية وفى علوم الأحياء، والتاريخ الطبيعي والفيزياء،. "(منصور،2019).

واللغات من العلوم الإنسانية، وبناء عليه نتساءل فما هي اللغة التي سيكتب لها البقاء، وستكون الأصلح من بين جميع اللغات الحية؟ والسؤال هنا لماذا ستكون الأصلح؟

هذا الكلام لم يكن ضرباً من الخيال، بل كان حقيقة واقعية تنبأ به صامويل هانتنغتون الذي أكد أن الصراع في القرن الواحد والعشرين سيكون صراعاً حضارياً بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وقد أكد على هذا الكلام الباحث محمد جكيب عندما تكلم عن صراع الحضارات بقوله:" علماً بأن الفرضية الأساس الذي أطلقها في مقالته الأولى(يقصد هنا صامويل هانتنغتون) سنة 1993م كانت قائمة على مجرد فرضية أن الصراع الدولي أو الصراع بين الدول لن يكون

على أساس اقتصادي أو أيديولوجي، ولكنه سيكون على أساس ثقافي وحضاري. وفي إطار هذا الصراع الجديد الذي تنبأ به هانتنغتون، سيتم الإلحاح على أهمية الدين واللغة مدخلا من مداخل الهوية الحضارية والثقافية، وموجها موضوعيا للصراع الحضاري."(جكيب،2022).

وقد أكد صامويل على هذا الكلام في كتابه كثيراً بل حدده بأنه صراع بين حضارة الثقافة الإسلامية وبين حضارات الآخرين فقال: " وعلى المستوى الأكبر أو الكوني السياسية العالمية نجد أن الصراع الرئيسي بين الحضارات هو ذلك القائم بين الغرب وبقية الحضارات، بينما على المستوى الأصغر والمحلي نجد أن الصراع القائم هو صراع بين الإسلام والآخرين".(هنتجتون،1999).

أما لماذا سيكون البقاء للغة العربية فهذا أيضاً يحتاج إلى توضيح، وفي الجواب يمكن القول: لأن اللغة العربية تعد من أقوى اللغات الحية اليوم في العالم أدباً وبلاغة وتركيباً ومفرداتٍ بالمقارنة مع غيرها من اللغات التي لها نفس المكانة الأدبية، وإن كان اليوم تتضاءل عن مكانتها شيئاً فشيئاً لأسباب عديدة ومن أولها فقدان العرب احترامهم للغتهم، وتصديقهم لما يقال عن لغتهم بأنها لغة صعبة وقاصرة عن الأداء العلمي في العصر الحديث كما يشاع عنها من قِبل المستشرقين، ولكن متى استطاعوا أن يدركوا أن الذين يخططون لتدميرهم مادياً وعسكريا واقتصاديا هم أنفسهم الذين يخططون تدميرهم معنوياً وروحياً بما يشيعون من الكذب عنهم وعن لغتهم عندها تعود اللغة إلى ما كانت عليه يوم كانت لغة الحضارة والثقافة، ولا يفوتني أن أذكّر هنا أيضاً أن النفوذ الثقافي للغات العالمية التي تفرض نفسها على العالم يسبقه تفوق في النفوذ السياسي والاقتصادي، ولا يخفى أن الصدارة في كل شيء اليوم تابع لهذين المجالين، ومتى اعتز العرب بلغتهم، ورفضوا النظرة الدونية لأنفسهم ولدينهم وللغتهم وناضلوا من أجل الحفاظ على لغتهم ورفضوا نظرة الانتقاص عندها تعود اللغة العربية إلى مكانتها اللائق بها.

وهذا لا يعني أن يتشاءم أهلها ويأسوا فمادام توعد الله بحفظ كتابه، وكتابه مكتوب باللغة العربية، فاللغة العربية هي الأصلح والأنفع، ومصداق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم إذ يقول:" لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ ". (البخاري في "التاريخ" 150/2، والحاكم 430/4، والبيهقي 181/9). فبهذا الحديث وغيره كثير يمكن ترجيح الرأي السابق بأن اللغة العربية هي الأصلح والأنفع فمادام هذا الدين سيدخل كل دار على وجه الأرض فلابد من أن تكون لغة هذا الدين أيضاً تدخل إلى كل مكان وما ذلك على الله بعزيز.

بالإضافة إلى أنها اللغة الوحيدة التي تفردت بالفصحى، وأن ثراء عباراتها وغزارة ألفاظها وعمق معانيها وسعة مفرداتها جعلتها تتصدر غيرها لتكون لغة يخاطب بها الرب جلال جلاله عباده، وفهي اللغة التي تربط السماء بالأرض، فكل هذا أهلتها لتكون لسان أكرم كتاب وأقدس لغة على أكرم خلق الله تعالى ووعاء لأشرف كلام إلى قيام الساعة .

سادساً– ما قاله الأعلام والعظماء في فضل اللغة العربية

تحدَّث أعلامُ الإسلام عن فضل اللُّغة العربيَّة ومكانتها فقد قال الخليفةُ الرَّاشدُ قال عمر بن الخطاب: " تعلّموا العربية فإنها تزيد في المروءة، وتعلّموا النسب فربّ رحم مجهولة قد وصلت بنسبها".(الدينوري،412،1418).

ومما روي عنه أيضًا، وقد كان حريصًا على ضبْط اللسان العربي؛ لأنه الوعاء الذي نزل به القرآن، والسبيل الأول إلى فَهْمه فهمًا صحيحًا، واستنباط أحكامه استنباطًا سديدًا–أن الحصين بن أبي الحر، وقيل: أبو موسى الأشعري – أرسل إليه كتابًا، فلحن في حرف فيه، فكتب إليه عمر– رضي الله عنه –: أن قنِّع كاتبك سوطًا؛ وفي بعض الروايات أمر بعزله".(الجاحظ، 1423، 149).

وقال الإمام الشافعي: (وذلك أن اللسان الذي اختاره الله عز وجل لسان العرب، فأنزل به كتابه العزيز وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا نقول:ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأوْلى بأن يكون مرغوباً فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بأعجمية ".

بل إن أبا عمرو بن العلاء كان يقول: "لَعِلمُ العربية هو الدين بعينه، فبلغ ذلك عبدالله بن المبارك، فقال: صدق؛ لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجِهْلهم بذلك، فقد جاء في نص الإنجيل: ((أنا ولَّدتك من مريم، وأنت نَبِيي))، فحسبوه يقول: أنا ولَدتك، وأنت بُنَيي، بتخفيف اللام، وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة، فكفَروا". (الحموي، 1993 ،ج1/10).

وقال عبد الملك بن مروان: " اللحن في الكلام أقبح من التّفتيق في الثوب، والجدريّ في الوجه. وقيل له لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيّبني ارتقاء المنابر وتوقّع اللحن ". (ابن عبد ربه، 1983، ج308/2).

وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه (فقه اللغة وسر العربية)، قال: " ومن أحبَّ العربية عُنيَ بها وثابر عليها وصرف همَّته إليها ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار." (الثعالبي، ٢٠٠٢، ص15).

وقال ابن تيميّة رحمه الله:" فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميّزون ". (ابن تيمية، – ١٩٩٩م، ج519/1).

قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله:" ما ذلّت لغة شعبٍ إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبيّ المستعمر لغته فرضاً على الأمّة المستعمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، و يستلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثةً في عملٍ واحدٍ: أمّا الأول فحَبْس لغتهم في لغته سجناً مؤبّداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ ". (الرافعي،٢٠٠٠م ،ج33/3).

سابعاً– اللغة العربية إحدى أعظم اللغات المستقبلية في العالم

بعد ما تبين في البحث أن البقاء للأصلح من اللغات، وأن اللغة العربية تعرضت للكثير من المحن من قبل الأعداء والاستعمار، ورجعت بعد ضعفها وضعف أهلها مرة ثانية إلى الساحة لتنافس اللغات العالمية الكبرى، وما تم ذكر من الأحاديث التي تدل على أن اللغة العربية سوف لن تترك داراً إلا وتدخله، فهذا كله أدلة على أنها ستكون إحدى أعظم اللغات إن لم أقل إنها ستسودها كلها، ونستطيع القول أيضاً : بأنها ستكون اللغة الخالدة؛ لأن خلودها نابغ من خلود القرآن الكريم، وفي هذا الشأن قال الشيخ محمد يوسف الشربجي رحمه الله تعالى–: تحويل اللغة العربية إلى لغة عالمية: من المعروف أن اللغة هي صورة صادقة لحياة الناطقين بها، والعرب قبل نزول القرآن الكريم، لم يكن لهم شأن يذكر أو موقع بين الأمم آنذاك حتى تقبل الأمم على تعلم لغتهم، والتعاون معهم فليست لغتهم لغة علم ومعرفة، وكذلك ليس لديهم حضارة أو صناعة، كل ذلك جعل اللغة تقبع في جزيرتها فلا تبرح إلا لتعود إليها.

وقد ظلوا كذلك، حتى جاء القرآن الكريم، يحمل أسمى ما تعرف البشرية من مبادئ وتعاليم، فدعا العرب إلى دعوة الآخرين إلى دينهم، ومما لا شك فيه أن أول ما يجب على من يدخل في الإسلام هو تعلم اللغة العربية لإقامة دينه، وصحة عبادته، فأقبل الناس أفواجاً على تعلم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولولا القرآن الكريم لم يكن للغة العربية هذا الانتشار وهذه الشهرة...".(الشربجي، 2003، 9).

الدليل الثاني: ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور نور الدين عتر الذي يقول: "وقد اتسع انتشار اللغة العربية جداً حتى تغلغلت في الهند والصين وأفغانستان، وحسبنا شاهداً على ذلك ما نعلمه من مشاهير العلماء من تلك البلاد مثل البخاري ومسلم، والنسائي، وابن ماجه القزويني، وغيرهم وغيرهم".(الشربجي، 2003، 9).

والدليل الثالث: الدليل العقلي الذي نفهمه من كلام الباحث محمد بشير أبو الحجاج عندما يقول: "هناك أمر يجب أن نقطع به على وجه اليقين والجزم وهي أنه ما من لغة في العالم احتفظت بخصائصها اللغوية طوال 1500 عام سوى العربية، ولم يكن ممكناً البتة بأي سبيل لولا نزول القرآن الكريم بها. انظر إلى الإنجليزية في القرن التاسع عشر في مؤلفات ديكنز والصحف الصادرة آنذاك وانظر إلى لغة الصحف والروايات الإنجليزية اليوم، ولن أقول لك ارجع إلى لغة شكسبير في القرن السابع عشر فهي لغة أشبه بالميتة مثل اللاتينية فلا يستطيع أحد أن يفهمها –حتى من أهل بريطانيا– دون قاموس أو تفسير باللغة المعاصرة، هذا الاختلاف الكبير في الإنجليزية على مستوى الحروف والتراكيب يرجع لعدم وجود كتاب سماوي مثل القرآن الكريم يربط خيوط اللغة ويشدها له حتى لا تنفتل، ويرجع كذلك لأن الإنجليزية كان عليها أن تتطور لمواكبة الازدهار البريطاني ومستعمراتها التي لا تغيب عنها الشمس وبحكم تطور التقنيات والاختراعات والعلوم الحديثة."(أبو الحجاج، 2022، 8).

وهذا دليل عقلي آخر" لولا القرآن لما أصبحت العربية يومًا ما اللغة الأولى للفكر والثقافة والعلم والأدب ولما تسابق خيرة شباب أوروبا يومًا ما من أجل تعلمها! ".(أبو الحجاج، 2022، 9).

وهذا كلام آخر في نفس الموضوع: "لو كان القرآن لم ينزل بالعربية، ماذا كان سيصبح مصيرها؟ لن نقول إنها كانت ستندثر ولكن مصيرها في نهاية الأمر لن يختلف كثيرًا عن لغات أخرى اقتصرت على شعوبها، وبالطبع كانت ستصبح لغة الجزيرة العربية فقط أو مناطق معينة ومن المؤكد أيضًا أن اللغة العربية في الوقت الحالي كانت ستختلف اختلافًا كبيرًا وربما كليًا عن صورتها قبل مائتي عام ناهيك عن ألف سنة.." (أوريل،2014، 13).

ويطرح الأستاذ شحادة الخوري في بحثه ((التعريب والمصطلح)) سؤالاً وهو: هل لغتنا العربية قادرة على أن تكون لغة معاصرة؟

ويجيب: "من أمعن النظر في اللغة العربية وقارنها باللغات الأخرى، تملكه العجب من فصاحة مفرداتها وعذوبة ألفاظها، وجزالة تراكيبها، ورقة عباراتها، وقدرتها على التعبير والتوليد وقابليتها للنماء والتطور، وحسبها أن تكون لغة القرآن الكريم بجلال معانيه، وبلاغة بيانه، وهو الذي زادها غنى ووسع لها في الأرض امتداداً، وفي الزمان بقاءً، ثم استطاعت أن تكون وعاء المعرفة البشرية قروناً متطاولة، ولا يشك في أنها قادرة على أن تكون لغة المستقبل بعلومه وآدابه وفنونه، محتفظة بعالميتها التي اكتسبتها منذ خمسة عشر قرناً إلى آخر الزمان". (مجلة مجمع اللغة العربية، م 73، ج 4، 1997م،799).

ثامناً– الدراسات و الإحصائيات التي تؤكد على مستقبلية اللغة العربية

– مثال : في اليوم العالم 18 نشرت جريد أكاديميا في دولة كويت وتحت عنوان [دراسة اللغة العربية هي الأكبر مقارنة بين اللغات!!]، والتي تجعل منها أكثر لغة من حيث عدد الكلمات في العالم، وذلك حسب دراسة أجريت بالمقارنة مع لغات حية أخرى، وهي الإنجليزية والفرنسية والروسية، يبين هذا الإنفوجرافيك نتيجة تلك الدراسة: فكانت النتيجة هي التالي:

اللغة	عدد الكلمات	الملاحظات
العربية	13.302.912	هو عدد كلمات اللغة العربية من غير تكرار
الانكليزية	6000.000	هو عدد كلمات اللغة الانكليزية تبعاً لأكبر المعاجم المتوفرة لها
الفرنسية	150.000	هو عدد كلمات اللغة الفرنسية تبعاً لأكبر المعاجم المتوفرة لها
الروسية	130.000	هو عدد كلمات اللغة الروسية تبعاً لأكبر المعاجم المتوفرة لها

وكانت النتيجة النهاية هي تبلغ عدد مفردات اللغة العربية عند مقارنتها باللغة الإنجليزية 25 ضعفاً". (جريدة أكاديميا،2020).

2– دراسة أخرى نشرت قناة BBCعربي استبياناً وتحت العنوان التالي(هل تمثل اللغة العربية عائقاً أمام التقدم العلمي للعرب؟ " قال الكاتب والصحافي البريطاني الشهير روبرت فيسك في مقالة له أن أحد أسباب "تراجع العرب عن تفوقهم العلمي" هو اللغة العربية. وتساءل فيسك في مقالته في صحيفة الاندبندنت تحت عنوان (هل يتعثر تقدم العرب بسبب لغتهم المتحجرة؟) عما اذا كان السبب يعود الى اختلاف اللغة التي يتكلم بها العرب واللغة التي يكتبونها.

وذكر الكاتب نظريات لمفكرين وإعلاميين عرب تطرقوا إلى هذا الموضوع كالإعلامي حسن الكرمي الذي رأى أن العرب –يواجهون في أغلب الاحيان قصوراً من حيث الدقة في التعبير عن أفكارهم بسبب تعلمهم اللغة العامية قبل تعلم الفصحى والتي ترتقي الى أسلوب الكتابة الأكثر دقة.–

وأثارت مقالة فيسك جدلاً حول العلاقة بين تقدم العرب واللغة العربية، التي تعتبر أحد أعمدة التراث العربي.

ويرى البعض أن جمود اللغة العربية و"تحجرها" حسب وصف فيسك لا يسمح بتطورها وبمواكبة العصر وهذا ما يعرقل تقدم العرب.

بينما يرى أخرون إن ثراء اللغة العربية في الكلمات ومعانيها يعطي مجالاً أوسع للإبداع الادبي والفكري، وأن أي تعثر في التقدم العلمي لدى العرب له مسببات أخرى، وأن عدم تطور اللغة العربية يرجع الى ضعف مساهمة العرب في التطور العلمي ولا علاقة للغة بذلك". (موقع قناة BBC، 2013).

لذلك أقول: لا توجد علاقة بين اللغة العربية والتقدم العلمي أبداً؛ لأن تقدم أي لغة في العالم وتأثيرها على الآخرين لا تعتمد على اللغة نفسها إنما تعتمد على أهلها وعلى مصدر قوتهم، فاللغة العربية بقية أكثر من عشرة قرون هي لغة

الحضارة والعلم والمعرفة عندما كان المسلمون يداً واحداً ومتمسكين وكانوا أصحاب القرار لأنفسهم ولمن حولهم، واليوم عندما ذهب ريحهم، وضعفوا ذهبت لغتهم أيضاً.

تاسعاً- دور القرآن الكريم في اللغة العربية

لا يشك أحد في أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لجميع العلوم الإسلامية التي انتشرت بين العرب والعالم، ولولا القرآن الكريم لما وصلت اللغة العربية إلى ما وصلت إليه لارتباط اللّغة العربيّة بالدّين الإسلامي ارتباطًا وثيقًا، وهذا ما جعلها لغة خالدة وعظيمة، وقد صدق الله القائل: (إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون)، فهذا عهد من الله تعالى بحفظ اللّغة العربيّة من الاندثار والضياع، وهل هناك وعد وعهد نثق به أكثر من وعد الله وعده!

واختيارها الله تعالى لتكون لغة آخر الأديان والرسل، فإذاً لا نبي ولا رسول بعد هذا النبي والرسول، ففي النتيجة إذا لا لغة ولا بيان بعد اللغة العربية.(Küçük Sayı, 1Nisan 2018 s, 207-278).

بالإضافة إلى أنها لغة أهل الجنة، يقول الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- عن مكانة اللّغة العربيّة" :أحبّ اللّغة العربيّة لثلاث: لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، وكلام أهلّ الجنّة عربيّ." [1]فإذا كانت لغة أهل الجنة ستكون عربياً فإذا لابد أن تكون أخر لغة على وجه الأرض هي نفسها.

الخاتمة

كل ما أريد قوله في نهاية هذا البحث يجب علينا أن لا نخاف على اللغة العربية ومصيرها في المستقبل؛ لأن لها رباً يحفظها كما حفظ بيته من أبرهة الأشرم الحبشي عندما أراد أن يهدمه؛ ولأنه جل جلاله وعد بحفظ كتابه من تحريف المنحرفين ومن دنس المدنسين والمندسين، فمادام الله حافظ لكتابه فلابد من أن يحفظ اللغة التي نزلت به وحيه الكريم على قلب رسوله الأمين، ولكن يجب أن نخاف على أنفسنا ومصيرنا، فنحن إن لم نعد إلى العمل بكتاب ربنا الذي أمرنا بالحفاظ على ثوابت ديننا لضعنا ولذهب ريحنا، ومن أكبر ثوابت ديننا اللغة العربية التي تنادينا صباح مساء لا تتركوني وتأخذوا بالعامية وباللهجات، بل تنادينا لمن تركتموني يا أبنائي.! فهل آن الأوان أن يعود أهل العربية إلى اللغة العربية ويعتنوا بها حتى تعود لهم السيادة كما كانت لهم في سابق عهدهم، وهل آن الأون أن يعودوا إلى كتاب ربهم فيسودا كما كانوا سادة؟!.

أهم نتائج البحث وتوصياته

- اللغة العربية لغة أصيلة لا يمكن أن تنصهر وتذوب كبعض اللغات التي غابت واندثرت وأصبحت أثراً بعد عين؛ لأنها لغة الوحي الإلهي.

– اللغة العربية لغة مرشحة أن تكون أعظم لغة في المستقبل؛ لأنها تتميز بمميزات تجعلها مرشحة لتبوء بهذا الشرف من حيث الإيجاز، والجرس الموسيقي، والأشتقاق الصرفي، وتناغم عباراتها، وتناسق جملها، وإمكانية تعريب الألفاظ الواردة، وخصائصها الصوتية.

– هناك دراسات واحصائيات تؤكد أن المستقبل للغة العربية وهي قائمة على أرقام واستبيانات حقيقة.

– للقرآن للكريم الدور الكبير والعظيم في حفظ اللغة العربية على ذاتيتها ونضارتها؛ فلولا القرآن الكريم لما وصلت اللغة العربية إلى ما وصلت إليه لارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي ارتباطاً وثيقاً، وهذا ما جعلها لغة خالدة وعظيمة.

– العودة إلى اللغة العربية بشكل جدي في كل الأقطار العربية والتحدث بها في جميع مفاصل الدول ومؤسساتها وصروحها الحضارية خاصة في المدارس والمعاهد والجامعات.

– عدم السماح للعامية واللهجات بالتوسع على حساب العربية الفصحى.

– استخدام وسائل الإعلام المعاصرة الجديدة والمتنوعة في نشر اللغة العربية والدعوة إلى إحيائها في النفوس والقلوب قبل الدعوة إلى إحيائها في المؤسسات.

– الإكثار من الدعوة إلى المؤتمرات والمشاريع التي تتهتم باللغة العربية وتشجع على الكتابة والتحدث بها في البيت والشارع والمدرسة وحتى في المحافل الدولية.

قائمة المصادر والمراجع

ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، *العقد الفريد*، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، ١٤٠٤هـ،1983.

الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، بد، ت، بد،ط.

الكومي، علي، لهذه الأسباب نزل القرآن الكريم باللغة العربية، موقع AAMROHAALD، تاريخ النشر في 10/ يوليو/ 2018م، تاريخ الأخذ في 2022/1/26م.

فرج، أحمد طه، مقال تحت عنوان لماذا أنزل الله القرآن باللغة العربية؟، موقع الروافد البوابة الالكترونية، تاريخ النشر في 9/ مايو/ 2020، تاريخ الأخذ في 1/26/ 2022م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد (ت ٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط7، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

ابن جني، أبو الفتوح عثمان الموصلي(ت 392هـ)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1969م.

ابن فارس، أحمد أبو الحسين بن زكريا القزويني الرازي (ت395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة محمد علي بيصون، ط،1، 1418هـ/1997م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ت، لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل(ت711هـ)، لسان العرب، ت، اليازجي وجماعة من اللغويين، دار الصادر، بيروت، بد، ط، 1414هـ.

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، بد،ت.

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٨

الأزهري، إسلام بن نصر، لماذا نزل القرآن باللغة العربية؟، موقع الألوكة الأدبية واللغوية، تاريخ النشر في 2018/4/7م، وتاريخ الزيارة في 2022/01/26 م.

البوطي ، محمد سعيد رمضان، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، ط: 38، 2015م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، وحي القلم، دار الكتب العلمية، ط1، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م .

الشربجي، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية والتحديات المعاصرة. مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب– دمشق العدد 90 – السنة الثالثة والعشرون – حزيران "يونيو" 2003 – ربيع الآخر 1424.

الشربجي، محمد يوسف، أثر القرآن في اللغة العربية والتحديات المعاصرة، شبكة صوت العربية، تاريخ النشر في 6،3،2008م، تاريخ الزيارة في 2022/1/24، https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/.

العقيلي في الضعفاء والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.

الكرباسي، صالح، لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية، موقع مركز الإشعاع الإسلامي للدراسات والبحوث الإسلامية، تاريخ النشر في 2006م/ وتاريخ الزيارة في 2022/1/27م.

أوريل بحر الدين ، دراسة تاريخية عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، مقال ، تاريخ النشر، في 2014، وتاريخ الزيارة 2022/1/22.

باشا، عبد الرحمن رأفت، العدوان على العربية عدوان على القرآن، دار الأدب الإسلامي، 1417هـ/1996م.

جريدة أكاديميا، في ودلة كويت ، دراسة اللغة العربية هي الأكبر مقارنة بين اللغات! ، تاريخ النشر في 29/ يوليو/2020م/ تاريخ الزيارة في 2022/01/26م. المصدر www.azzamaldakhil.com

جكيب، محمد، اللغة العربية والنموذج الحضاري المغربي، موقع هسبريس، تاريخ النشر 2022/01/21م/ تاريخ الزيارة في 01/27/ 2022م.

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) فقه اللغة وسر العربية ، ت، عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1،١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، ت، جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، *البيان والتبيين*، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

مجلة البيان عدد ٢٣٨، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 73،الجزء4، 1997م.

محمد بشير، أبو الحجاج ، هل اللغة العربية هي أفضل لغات العالم، مدونات الجزيرة، تاريخ انشر 4،2017/24، تاريخ الزيارة، 2022/1/18.

منصور، أحمد، مقال من صاحب مصطلح البقاء للأصلح سبنسر أم داروين؟، موقع تلفزيون اليوم السابع، تاريخ النشر في 27، أبريل، 2019م، وتاريخ الزيارة في 2022/01/26م.

موقع قناة بي بي سي/ مقال بعنوان هل تمثل اللغة العربية عائقاً للتقدم العلمي للعرب؟ تاريخ النشر في 2/ كانون الثاني/ 2013/.

نتوف، أحمد وأخرون، أبجد سلسلة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، بروتك، ملاطيا، بد، ت، بد، ط.

هنتنجتون، صامويل، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ت: طلعت الشايب، دار سطور، ط: 2، 1999م.

Cemil Küçük, KUR'ÂN VE KIRAATLERİN KAYNAĞI, Vankulu Sosyal Araştırmalar